مـوقف الإسـلام من الفقـر

د. رابح زرواتي
جامعة الحاج لخضر ـ باتنة

خلاصة البحـث:

شجع الإسلام كل السبل التي من شأنها الارتقاء بالمستوى المعيشي للفرد، وحارب كل السبل التي تنتكس به، ويعتبر الإسلامُ الفقرَ آفة خطيرة على الفرد والمجتمع معا، ولم يمدح الإسلام الفقر لا في آية ولا حديث، بل قد حذر من الفوارق الطبقية بين أفراد الأمة، بحيث تعيش منها جماعة في مستوى الترف، وتعيش جماعة أخرى في مستوى الشظف، وحذر من أن يكون المال متداولا فقط بين الأغنياء في الأمة وتبقى الطبقة الضعيفة محرومة من رزق الله.

فالإسلام يكره الفقر، ويعمل على تخليص الناس منه.

Résumé:

L'islam n'a pas seulement encouragé et adopté tous les moyens qui peuvent améliorer le niveau de vie des individus; mais il a aussi considéré la pauvreté tel qu'un mal et un handicap qui doit ètre surmonté. c'est dans ce cadre que l'islam a appelé a faire benificier toute les classes sociales du moyen de l'argent et des dont divins et ne pas en priviligier les riches uniquement.

L'islam a toujours détesté et méprise la pauvreté et travaillé pour aider les gens à s'en débarasser.

بسم الله الرحمن الرحيم

« اليد العليا خير من اليد السفلى: والعليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة» **رواه البخاري ومسلم.**

مقدمة:

استخلف الله الإنسان في أرضه لينمي الحياة ويرقيها، ثم ليجعلها جميلة، ثم ليستمتع بها، ثم ليشكر الله تعالى على أنعمه التي آتاه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:61)، وقال تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾** (إبراهيم: 32-34).

ولم يترك الله الإنسان ليُشبع رغباته ونزواته كالأنعام، بل حمّله أمانة ثقيلة وكلّفه بأدائها ورعيتها على أحسن وجه، قال الله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾** (الأحزاب: 72).

فالإنسان مُطالب بأن يسخّر جهده وينفق وقته ويستغل مواهبه في فهم هذا الدين وتبليغه للآخرين، ولا ريب أن ذلك يستغرق منه عمره كله.

ولكي يتفرغ الإنسان للقيام بهذه الأمانة، ولا يستهلك جهده ووقته كله في طلب المعيشة، فإن الإسلام حذّر من كل السبل التي تؤدي إلى هبوط المستوى المعيشي للمسلم.

فقد حذر مثلا من الفوارق بين أفراد الأمة، بحيث تعيش منها جماعة في مستوى الترف، وتعيش جماعة أخرى في مستوى الشظف، قال رسول الله ﷺ:

«أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله»[1].

وحذر من أن يكون المال دولة بين الأغنياء في الأمة، فلا تجد الكثرة ماتنفق، قال الله تعالى: ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**﴾ (الحشر: 7).

وبالمقابل فقد حث الإسلام على كل السبل التي ترتقي بالمستوى المعيشي للشخص، فقد حثه على العمل، ونقل إليه ميراث قريبه بعد موته، وصان له ماله فحرم كل اعتداء عليه ...إلخ .

ولذلك كان للإسلام موقف صارم من الفقر، لما يؤدي إليه من تعطيل الإنسان عن القيام بالأمانة التي على عاتقه، ولما يؤدي إليه من أحقاد وضغائن تحطم أركان المجتمع.

فما هو إذن الخطر الذي يشكله الفقر على الإنسان، وما هي نظرة الإسلام للفقر، وما أدلة ذلك، وما هي الشبهات المثارة في هذا الموضوع، وما الرد عليها، وما هي مكانة المال في التشريع الإسلامي، وما هي وسائل الإسلام في معالجة الفقر؟

الفقر في نظر الإسلام آفة خطيرة يُخشى سوء أثرها على الفرد والمجتمع معا: على العقيدة، والخلق، والفكر، والأسرة، والأمة.

خطر الفقر على العقيدة: لا شك أن الفقر من أخطر الآفات على العقيدة، لأنه يكون حينئذ مدعاة للشك في حكمة التنظيم الإلهي للكون، ولعدالة التوزيع الإلهي للرزق، ولذلك قال النبي ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفرا»[1].

(1) - أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر، رقم (2165): 14/2، والطبراني في الأوسط، رقم (8426): 210/8، وأحمد في مسنده، رقم (4880): 33/2.

خطر الفقر على الأخلاق والسلوك:

إن الفقير كثيرا ما يدفعه بؤسه إلى سلوك ما لا يرضاه الخلق الكريم، ولهذا قالوا: (صوت المعدة أقوى من صوت الضمير).

والأوضاع الاقتصادية المتردية سبب للرذائل، والنسبة الكبرى من الرذائل تعود إلى الفقر، فالجوع والحرمان يدفعان صاحبهما إلى السرقة، والبؤس من أهم الأسباب المؤدية إلى انتشار جريمة الزنا، والبطالة تدفع صاحبها إلى ارتكاب أنواع كثيرة من الجرائم.

خطر الفقر على الفكر الإنساني:

الفقر يشل الجانب الفكري من الإنسان الذي لايجد ضرورات الحياة لنفسه وأهله، لأنه مشتت الذهن مشغول البال، روي عن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، أن الجارية أخبرته يوما في مجلسه أن الدقيق نفد، فقال لها: (لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه).

خطر الفقر على الأسرة:

الفقر خطر على الأسرة من حيث تكوينها واستمرارها وتماسكها، ففي تكوينها يحول الفقر بين الزواج والشباب لما فيه من أعباء، وفي استمرار الأسرة قد يؤدي ضغط الفقر للتفريق بين المرء وزوجته، وفي تماسكها كثيرا ما يكدر الفقر صفاء العلاقة بين أفراد الأسرة، وربما انتحر رب الأسرة هروبا من التكاليف التي أثقلته.

خطر الفقر على المجتمع واستقراره:

الفقر خطر على أمن المجتمع واستقرار أوضاعه، وخاصة إذا كان في المجتمع ترف أقلية على حساب أكثرية، فذلك الذي يثير النفوس ويحدث الفتن

(1) - أخرجه الشهاب في مسنده عن أنس، رقم (586): 342/1، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم (6612).

والاضطرابات، روي عن أبي ذر قال: (عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه؟ !).

خطر الفقر على الصحة العامة:

وذلك لما يتبعه عادة من سوء التغذية والتهوية والسكن، وهو أيضا خطر على الصحة النفسية، لما يلازمه عادة من القلق والضجر.

نظرة الإسلام للفقر:

يرى عوام المسلمين أن الفقر ضرب من التدين، وأنه في الدنيا أمارة على الغنى في الآخرة، بينما الإسلام يعتبر الفقر مصيبة، ويعمل على تخليص الناس من آثاره، وقد كان من أدعية النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت»[1]، وكان ﷺ يقرن بين الديون والذنوب، فيستعيذ بالله منهما إذ يقول: «أعوذ بك من المأثم والمغرم، أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»[2]، وبيّن ﷺ أن الرجل المؤمن هو ذلك الشخص الحازم المستفيد من قواه فقد قال: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[3].

وصرامة الإسلام مع الفقر هي التي جعلته يرفع منزلة العمل، ويعد التعب فيه جهادا في سبيل الله، والهجرة في طلبه هجرة إلى الله، قال الله تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾** (الزمر: 10).

(1) ـ أخرجه ابن خزيمة في صحيحه عن أبي بكرة، باب التعوذ بعد السلام من الصلاة، رقم (747): 367/1، وابن حبان في صحيحه، رقم (1026): 302/3، وأبو داود في سننه، رقم (5090): 324/4.

(2) ـ متفق عليه عن عائشة، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، رقم (798): 286/1، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (589): 412/1.

(3) ـ أخرجه أحمد في مسنده عن عامر بن سعد غن أبيه، رقم (18): 49/1.

وهاهو النبي ﷺ يوجه سعد بن أبي وقاص حين أراد أن يتصدق بماله قبل موته، ليترك من هذا المال ما يغني ورثته، فقال له: «لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس»[1].

قل من حرم زينة الله؟

من خلال ما تقدم ندرك كراهية الإسلام للفقر، لأنه هو الذي يحرم الإنسان من جمال الحياة، ومن الأدلة على ذلك أنه أباح للمسلم أن يتمتع بزينة الدنيا وطيباتها لتغدو الحياة بهيجة جميلة، قال الله تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** (الأعراف:31، 32)، ويقول الرسول ﷺ: «إذا آتاك الله مالا فليرى أثر نعمة الله عليك وكرامته»[2].

حق الملكية الفردية:

ومن الأدلة أيضا على كراهة الإسلام للفقر، أنه يقرر حق الملكية الفردية للمال، ويحفظ هذا الحق لصاحبه ويصونه له عن السرقة أو النهب أو السلب أو الاختلاس بأية طريقة من الطرق, ويضع الحدود الرادعة لكفالة هذا كله، فوق ما يضع من التوجيهات التهذيبية لكف النفوس عن التطلع إلى ما ليس

(1) ـ متفق عليه عن سعد بن أبي وقاص، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب رثى النبي ﷺ سعد بن خولة، رقم (1233): 435/1، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب الوصية بالثلث، رقم (1628): 1251/3.

(2) ـ أخرجه أبو داود في سننه عن أبي الأحوص عن أبيه، باب في غسل الثوب وفي الخلقان، رقم (4063): 51/4، وأحمد في مسنده: 71/4.

لها، قال رسول الله ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد»[1] ، وقال: «من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان»[2].

والفرد مفطور على حب الخير لذاته وعلى حب ذريته والرغبة في أن يورثهم نتائج عمله، ولا ضير من مجاراة هذه الميول الفطرية ليبذل الفرد أقصى طاقاته في العمل والإنتاج لكي يلبي حاجات نفسه، وبذلك ينتفع الفرد من جهده وينتفع منه المجتمع أيضا[3].

تزوير على الدين:

ترضية الناس بالأمر الواقع، وترغيبهم في حياة الكفاف، كان العمل الذي قام به بعض أدعياء التصوف، ومثل هذه الأفكار هي التي خذلت الناس عن محاربة الفقر، وقتلت في دمائهم الشعور بأن الفقر كارثة يجب أن تقصى من المجتمع.

وقد رد ابن الجوزي (ت 597 هـ) عن الفهم السيّء للدنيا لدى البعض، فقال: (.. يستدلون بآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب، وجمهورها لا يثبت، فمن ذلك أنهم سمعوا في القرآن العزيز: (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)، (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة)، ثم سمعوا في الحديث: «للدّنيا أهون على الله من شاة ميتة على أهلها»، فبالغوا في هجرها من غير بحث عن حقيقتها».

---

(1) ـ متفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب من قتل دون ماله، رقم (2348): 877/2، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه وإن قتل كان في النار وأن من قتل دون ماله فهو شهيد، رقم (141): 124/1.

(2) ـ أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، رقم (7007): 2710/6.

(3) ـ انظر: محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، طبعة مكتبة رحاب – الجزائر، ص :137 وما بعدها؛ يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، طبعة دار الشهاب، باتنة – الجزائر 1988 م، ص : 12– 16.

ثم بين رحمه الله تعالى أن ما على الأرض من خيرات كلها لمصلحة الإنسان وحفظ بقائه، وبقاء الإنسان سبب لمعرفة ربه وعبادته، وما كان سببا لبقاء الإنسان العابد يُمدح ولا يُذم[1].

وكلامه هذا مستمد من قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ (لقمان: 20) .

شبهـات:

أثيرت حول هذا الموضوع عدة شبهات، وفيما يلي أهمها والرد عليها:

1 – **قد يقال**: إن طبيعة الدين تربط الناس بالآخرة، وتجعلهم قليلي الاكتراث بالدنيا.

ونرد على ذلك: إن الدنيا بمقوماتها المادية سلاح خطير، والسلاح في أيدي اللصوص وسيلة لارتكاب الجريمة وإشاعة الفساد، فهل هو كذلك في أيدي رجال الشرطة وحماة الحق؟ كلا بل هو جزء متمم لعملهم الشريف.

والمتدينون إذا فقدوا هذا السلاح فكيف يؤدون رسالتهم في الحياة، أم كيف يتماسك كيانهم فيها؟ ففهم الدنيا والهيمنة عليها والتفوق في شؤونها أمر لابد منه لأهل الدين؛ والفرق واضح بين من يتخذ الدنيا وسيلة لغاية كريمة، ومن يتخذها غاية الغايات، ومن ثم فالقول بأن الدين يصرف الناس عن الدنيا إشاعة كاذبة.

2 – **وقد يقال**: كيف يتفق هذا الترغيب في الدنيا مع أن الرسول ﷺ يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1]، وهناك نصوص أخرى تزهد في الدنيا وتحذر منها؟

(1) - ابن الجوزي، صيد الخاطر، طبعة مكتبة رحاب – الجزائر، ص: 25 ، 26 .

والجواب: إن الدنيا سجن لكل رجل شريف يقيد شهواته الطائشة، فهو يكون فيها واسع الثروة بعيد الجاه رحب الأفق كثير المطالب، ولكنه لايترك غرائزه تلعب به، ولا ينطلق في الدنيا حيوانا لا عقل له ولا ضمير.

إذن فهو يسجن نفسه عن الانطلاق في ساحة الشهوات والمحرمات، لا عن الحلال والمباحات، ولا يعيش لنفسه وإرضائها بل لأمته وإعلائها .

ومن الإيمان والإخلاص أن يتنازل المسلم عن ماله كله دفاعا عن دينه ووطنه.

(وكل حديث ورد يزهد ظاهره في الدنيا، فإن له ملابساته التي لا يتجاوز حدودها، والتي يقصد بها غالبا لفت المؤمن عن الاشتغال بشهواتها الحرام أو التعلق بها على أنها يوم لا غد بعده، وحاضر لا مستقبل وراءه، فإن الدين يجب أن يكرر على الناس ذكر الآخرة وألا يسأم منه، ذلك لأنها غيب مرتقب قد يذهل عنه المرء)[2].

و(الأحاديث الواردة في مدح الزهد في الدنيا لا تعني مدح الفقر، فإن الزهد يقتضي ملك شيء يزهد فيه، فالزاهد حقا من ملك الدنيا فجعلها في يده ولم يجعلها في قلبه)[3].

والآثار التي جاءت في الإسلام تفرض على الإنسان تحمل الشظف، جاءت لتصبِّر المسلمين على متاعب الجهاد، لا لترضيهم بمصائب الفقر.

---

(1) ـ أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب الزهد والرقائق، رقم (2956): 2272/4.

(2) ـ انظر: سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ص: 115 وما بعدها؛ إدريس خضير، فلسفة الاقتصاد في الإسلام، طبعة مكتبة رحاب – الجزائر، ص: 58 وما بعدها.

(3) ـ انظر: محمد الغزالي، الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، طبعة دار الشهاب، باتنة – الجزائر، ص: 43 .

3 – **هناك** من زعم أن النبي ﷺ آثر الفقر على الغنى، ودعا إلى قلة ذات اليد، وبهذا الفهم المغلوط تم نشر الفقر في الأمة الإسلامية من عدة قرون .

فلننظر: هل جاء في سنة النبي ﷺ تحقير للغنى وتهوين للأغنياء؟

لا يوجد شيء من ذلك في السنة الصحيحة، بل الذي رواه البخاري: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[1].

والأحاديث كثيرة في توكيد هذه القاعدة الرشيدة، فالعالم الأول في عصرنا يقوم على المال والعلم، والعالم الثالث يقوم على الفقر والجهل.

(ليس في مدح الفقر آية واحدة من كتاب الله، ولا حديث واحد يصح عن رسول الله ﷺ)[2].

فالعكس هو الصحيح، حيث يجعل الإسلام الغنى نعمة يمتنّ الله بها على عباده ويطالبهم بشكرها، وحسبنا أن نذكر أن الله امتن على رسوله بالغنى فقال: ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾ (الضحى:8).

4 – **وهناك** من زعم أن الفقر أمر محتوم وقدر مقسوم، ففقر الفقير بمشيئة الله وقدره، ولا راد لقضائه.

وفي القرآن الكريم رد على هذا الزعم ورمي لأهله بالضلال، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ (يس:47) .

(1) ـ متفق عليه عن عبد الله بن مسعود، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم (73): 39/1، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، رقم (815): 558/1.

(2) ـ محمد الغزالي، المرجع السابق، ص: 47.

فإذا كان الفقر داء فإن الله جعل له دواء، إذا كان قدرا من الله، فإن مقاومته والتحرر من ربقته من قدر الله أيضا، وعلى المؤمن حقا أن يدفع قدر الله بقدر الله.

الفقر والترف من أسباب سقوطنا:

كان الترف العقلي والمادي من أسباب انهيار الخلافة العباسية، ومن أسباب انتهاء الوجود الإسلامي بالأندلس، وبالمقابل كان الفقر العقلي والمادي من أسباب سقوط الخلافة العثمانية[1].

الاعتدال والتوسط هو المنهج الصحيح:

نظم الإسلام شؤون الإنسان البدنية والنفسية وما يتعلق بسائر آماله التي يسعى إليها في حياته، حتى لا يجنح إلى الرهبانية المغرقة ولا إلى المادية الجشعة، ويضعه على طريق التوسط والاعتدال، قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** (المائدة: 87) .

ففي اللباس مثلا ينهى الإسلام عن الإفراط والتفريط، فيقول النبي ﷺ في الإفراط: «من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، وألهب فيه نارا»[2]؛ وعن التفريط: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وعليه ثوب مرقعة، فقال له ﷺ: «ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قال: من كل المال قد أعطاني الله تعالى. قال: فإذا آتاك الله مالا فليرى أثر نعمة الله عليك وكرامته»[3].

(1) - يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر، ص 11 .
(2) - أخرجه أبو داود عن عمر، باب في لبس الشهرة، رقم (4029): 43/4، وابن ماجة في سننه، باب من لبس شهرة من الثياب، رقم (3606): 1192/2.
(3) - سبق تخريجه.

إن التوسط لب الفضيلة، والتوسط هنا أن تملك الحياة لتسخرها في بلوغ المثل العليا، لا أن تملك الحياة فتسخرك لدناياها، ولا أن تحرم من الحياة أصلا فتقعد ملوما محسورا.

المال من الضرورات للأمة:

في عصرنا تدور الحروب في البر والبحر والجو، وتُرصد لها الأموال الطائلة، والناس قبل الحرب الساخنة في حرب باردة، وأعداء الإسلام يتأهبون للقضاء عليه، فما موقف المسلمين في هذا العصر الذي تطورت فيه الحروب، وبم يدافعون عن دينهم وأوطانهم إن كانوا فقراء؟

إن كل مسلك يجعل المسلمين أضعف من أعدائهم يعد خيانة أو ارتدادا، وكل تفريط مدني أو عسكري في خدمة الإسلام فهو معصية[1].

ولهذا السبب وغيره جاء حفظ المال من الكليات الخمس الكبرى في الشريعة الإسلامية، وذلك لبالغ أهميته في قيام الحياة.

وسائل الإسلام في معالجة الفقر:

الفقر نكبة موجعة، ومن حق الناس أن يتخلصوا منه، والإسلام لم يقف عند حدود التعبير النظري عن كراهيته للفقر، بل اتخذ إجراءات عملية للقضاء عليه وتطهير المجتمع من آفته، وتتمثل هذه الإجراءات في الوسائل الآتية :

1 – العمل - 2 – كفالة الموسرين من الأقارب – 3 – الزكاة – 4 – كفالة الخزانة الإسلامية بمختلف مواردها – 5 – إيجاب حقوق غير الزكاة – 6 – الصدقات الاختيارية والإحسان الفردي – 7 – الوقف .

ونكتفي هنا بشرح وسيلتين فقط، ليتضح لنا أكثر أن الإسلام لم يهادن الفقر ولم يرض عنه مطلقا.

(1) - انظر: محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، طبعة دار البعث، قسنطينة – الجزائر 1402 هـ، ص: 20، 23.

1- **العمل**:

اعتبر الإسلام عمل الإنسان في معاشه عبادة، فالأعمال الدنيوية والسعي على النفس والأهل من أبواب العبادة والقربات إلى الله، فالزارع والتاجر والموظف وكل ذي حرفة يستطيع أن يجعل من عمله صلاة وجهادا في سبيل الله، إذا التزم فيه الشروط الآتية:

- أن يكون العمل مشروعا.
- أن تصحبه النية الصالحة.
- أن يؤدي العمل بإتقان وإحسان، ففي الحديث: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[1].
- أن يلتزم فيه حدود الله، فلا يظلم ولا يخون ولا يغش.
- ألا يشغله عمله الدنيوي عن واجباته الدينية، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: 9).

فإذا راعى المسلم هذه الشروط كان في سعيه عابدا وإن لم يكن في محراب، عن كعب بن عجرة قال: مرّ على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله؟ (أي في الجهاد)، فقال: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج

(1) - أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة، رقم (897)، وفيه راو وثقه البعض وضعفه البعض: 275/1.

يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[1].

والله تعالى يقرن المسافرين للرزق بالمجاهدين في سبيل الله في سياق واحد، إذ يقول: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (المزمل: 20)، ويعلن النبي ﷺ أن «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[2].

وفي ظل هذه التعاليم لا يجوز للمسلم أن يكون عالة على غيره أو عبئا على المجتمع، بل يدفعه إيمانه إلى كل ميادين الحياة منتجا متقنا متفوقا، وهو يوقن أنه في صلاة وجهاد[3].

2- **إيجاب حقوق غير الزكاة**:

هناك حقوق أخرى تجب في أموال الأغنياء عدا الزكاة، وذلك لأن الإسلام يبغي محاربة الفقر واستئصال أسبابه، قال رسول الله ﷺ: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما»[4]، وقال الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا**

(1) - قال الهيثمي: (أخرجه الطبراني في الثلاثة، ورجاله رجال الصحيح)، مجمع الزوائد: 325/4.

(2) - أخرجه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري، رقم (1209): 515/3، والحاكم في المستدرك، رقم (2142): 7/2.

(3) - انظر: الدكتور القرضاوي، العبادة في الإسلام، طبعة دار الشهاب للطباعة والنشر - الجزائر، ص: 61 - 63.

(4) - أخرجه الطبراني في الأوسط عن علي: 49/4.

عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: 177)، وهذه الآية تنص على أن في المال حقوقا أخرى غير الزكاة، فالزكاة هي الحد الأدنى لما يجب إنفاقه، وقد ورد عن النبي ﷺ: «إن في المال حقا غير الزكاة»[1]، ومن هذه الحقوق:

- **حق الجوار:** أمر الله برعاية الجار، وحض عليه رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾** (النساء: 36)، والأحاديث في ذلك كثيرة منها قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم جاره»[2].

- **الكفارات:** ككفارة اليمين والظهار ... إلخ.

- **فدية** الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه الذين يعجزون عن الصيام، فهم يفدون عن كل يوم في رمضان مقدار طعام مسكين.

وفي حكم هؤلاء المرأة الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو أولادهما.

- **الهدي:** وهو مايهديه الحاج أو المعتمر من إبل أو بقر أوغنم، كفارة على بعض المخالفات في الحج، وفي هذا الهدي فرصة لإطعام الفقير.

- **حق الكفاية للفقير والمسكين:** من حق كل فرد في المجتمع المسلم أن يوفر له ولمن يعوله تمام الكفاية من مطالب الحياة الأساسية، والآيات

(1) - أخرجه الترمذي في سننه عن فاطمة بنت قيس، باب ما جاء أن في المال حقا سوى الزكاة، رقم (660): 48/3.

(2) - متفق عليه عن أبي شريح العدوي، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم (5673): 2240/5، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم (47): 68/1.

والأحاديث الكثيرة تجعل التكافل فريضة لازمة، منها قوله تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ. فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ. مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾** (المدثر: 38-44)، ومن علامات التكذيب بالدين: **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ .فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** (الماعون:1- 3) .

ومن الأحاديث ما رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»[1].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: (لو استقبلت من الأمر ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين)، وقال علي ﷺ: (إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة، ويعذبهم عليه).

ولكي يدفع الإسلام المسلم للقضاء على الفقر شرع له من الوسائل ما يحقق له ذلك عمليا، ومن هذه الوسائل إضافة إلى ما سبق ذكره:

الصيد – إحياء الموات من الأرض التي لا مالك لها – استخراج ما في باطن الأرض من الثروات – تصنيع المادة الخامة – التجارة – الميراث[2].

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال، رقم (1728): 1354/3.

(2) - انظر: محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ص 156 وما بعدها؛ يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر، ص 108 وما بعدها؛ إدريس خضير، فلسفة الاقتصاد في الإسلام، ص 69 وما بعدها.

ومن المفيد أن نذكر قبل الختام بهذين المثالين، لنتبين شدة حساسية الإسلام نحو الفقر:

1 – هاجر المهاجرون مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، فأما الفقراء فما كان لهم من مال ينقلونه معهم، وأما الأغنياء فقد تركوا أموالهم خلفهم، فكانوا جميعا فقراء، فالعمل الأول الذي قام به النبي ﷺ تجاه هذه الحال أن آخى بين المهاجرين والأنصار، وسخت نفوس الأنصار فاقتسموا مع إخوانهم كل شئ يملكونه بل آثروهم على أنفسهم: ﴿ **يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (الحشر: 9).

والعمل الثاني أن النبيﷺ لما رأى المهاجرين ما يزالون فقراء، اغتنم موقعة(بني النضير) التي لم تقع فيها حرب، بل سلمت للنبي صلحا، فكان فيؤها كله لله وللرسول، فمنح فيئ بني النضير للمهاجرين خاصة إضافة إلى رجلين فقيرين من الأنصار، وفي هذه الواقعة يقول القرآن: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (الحشر8،7).

2 – ذات ليلة كان عمر بن الخطاب ﷺ يعس، فإذا هو ببيت مبني من شعر لم يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا، فسلم عليه ثم قال : من الرجل ؟ فقال: رجل من أهل البادية أتيت أمير المؤمنين أصيب من فضله، فقال: فما هذا الصوت الذي أسمع في البيت؟ فقال: امرأة تمخض. فقال : هل عندها أحد؟ فقال: لا.

وانطلق عمر حتى أتى منزله فجاء بزوجته وبما يصلح لولادة المرأة من خرق ودهن وحبوب وغير ذلك، حتى انتهى إلى الباب، فقال لزوجته : ادخلي إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له : أوقد لي نارا، وأوقد تحت البرمة نارا حتى أنضجها وولدت المرأة؛ فقالت زوجة عمر: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام. فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين هابه فجعل يتنحى عنه، فقال: مكانك كما أنت. فحمل عمر البرمة ووضعها على الباب ثم قال لامرأته: شَبِّعيها. ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب، فقام عمر فوضعها بين يدي الرجل فقال: كل، فإنك قد سهرت من الليل، وقال له: إذا كان غدا فأتنا نأمر لك بما يصلحك[1].

الخاتمــة:

بناء على ما تقدم نسجل النتائج الآتية:

1 – لكي يتفرغ المسلم لأداء أمانة الله، ولا يستهلك طاقته كلها في الجري وراء كسب قوتـه، شجع الإسلام كل السبل التي من شأنها الارتقاء بالمستوى المعيشي للفرد، وحارب كل السبل التي تنتكس به.

2 – يرى الإسلام الفقر نكبة ومصيبة، وأنه قرين للكفر والمعاصي.

3 – يعتبر الإسلام الفقر آفة خطيرة على الفرد والمجتمع معا: على العقيدة، والخلق، والفكر، والأسرة، والأمة.

4 – كل زعم بأن الإسلام يرضى عن الفقر أو يهادنه، فهو شبهة باطلة.

5 – ليس في مدح الفقر آية واحدة من كتاب الله، ولا حديث واحد يصح عن رسول الله ﷺ.

6 – العلم والمال من أهم الأسس في استئناف صدارة المسلمين للعالم.

(1) - الطبري، تاريخ الطبري: 170/1.

والخلاصة العامة أن الإسلام يكره الفقر، ويعمل على تخليص الناس منه.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

كتب السنة التي تم تخريج الأحاديث منها:

الإمام البخاري، صحيح البخاري

الإمام مسلم، صحيح مسلم

الإمام أحمد، مسند أحمد

الحاكم، المستدرك على الصحيحين

الطبراني، المعجم الأوسط

الشهاب، مسند الشهاب

البيهقي، شعب الإيمان

ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة

ابن حبان، صحيح ابن حبان

أبو داود، سنن أبي داود

ابن ماجة، سنن ابن ماجة

الهيثمي مجمع الزوائد

الترمذي، سنن الترمذي

المراجع العلمية:

محمد الغزالي، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، طبعة مكتبة رحاب – الجزائر.

يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، طبعة دار الشهاب، باتنة – الجزائر 1988 م.

ابن الجوزي، صيد الخاطر، طبعة مكتبة رحاب – الجزائر.

سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان.

إدريس خضير، فلسفة الاقتصاد في الإسلام، طبعة مكتبة رحاب – الجزائر.

محمد الغزالي، الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، طبعة دار الشهاب، باتنة – الجزائر.

محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، طبعة دار البعث، قسنطينة – الجزائر 1402 هـ.

يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، طبعة دار الشهاب للطباعة والنشر ـ الجزائر.

الطبري، تاريخ الطبري، طبعة دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان.